الباب السادس

حماس والفصائل الفلسطينية

صراع الأخوة

هي عبارة أطلقت على الصراع الفلسطيني - الفلسطيني في غزة بين القوة التنفيذية المؤلفة من عناصر كتائب عز الدين القسام،الذراع العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس من جهة، وبين قوات الأمن التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، حيت تتمتع حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح بنفوذ قوي فيها،من جهة أخرى أطلق مصطلح الأخوة بسبب توزيع أبناء البيت الفلسطيني الواحد على أكثر من فصيل أحتدم القتال في منتصف شهر مايو من عام 2007 واستمرت عمليات القتل والخطف المتبادل بين الجانبين حتى 14 يونيو سنة 2007 حين سيطرت حماس على كل المواقع الأمنية في قطاع غزة الذي وقع بذلك تحت السيطرة الكاملة لحماس كما فر قادة الأجهزة الأمنية وأعضاء من فتح إلى الضفة ومصر وأسرائيل عن طريق مراكب أبحرت من مقر الرئاسة الفلسطينية منتدى الرئيس، مثل محمد دحلان ورشيد أبو شباك والمشهراوي.

تعلل حماس ومؤيدوها عملية الحسم العسكري باختطاف وتعذيب عدد من أفراد القسام والقوة التنفيذية التابعة لحماس على أيدي القوى الأمنية الموالية لفتح إلا أن الطرف الآخر في فتح ومؤيديها يرونه تنفيذا لمخططات إيرانية في فلسطين، ويتهمون حماس بتلقي الدعم المادي من

إيران وحليفتها سوريا

حماس ومنظمة التحرير

أخذت العلاقة بين حركة حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية أشكالاً متعدّدة من التنافس فبعد سنين طويلة من انفرّاد المنظمة، وفصيلها القائد،أي حركة فتح، في الساحة السياسية الفلسطينية،دون منافس يُذكر، ظهرت حركة سياسية لديها مشروعها الإسلامي الجهادي والبنائي لتهدّد انفرّاد المنظمة بتمثيل الشارع الفلسطيني فمعظم فصائل منظمة التحرير وقفت بداية من انطلاقة حماس وقفة المخوّن والخائف على تآكل تمثيله الشعبي، ثم حاولت احتواءها، وأحياناً ضربها أو شق صفوفها. ثم ما لبث بعض قادة منظمة التحرير أن اعترف بتمثيل حماس الشعبي وحضورها على الساحة الفلسطينية، حتى بلغ الأمر بالرجل الثاني في المنظمة صلاح خلف أبو إياد بالقول إن حماس قوة إسلامية موجودة داخل الأراضي المحتلة، وقاعدتها من أنظف القواعد المقاتلة وهذا لا يعني أن الأصوات التي كانت تدعو لاستبعاد حماس قد غابت تماماً وحركة حماس سعت إلى طمأنة المنظمة على أنها لا تسعى إلى ضرب تمثيلها أو الصدام معها، فورد في ميثاق الحركة منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه فوطننا واحد،ومصابنا واحد، ومصيرنا واحد، وعدونا مشترك

وعلى رغم الاتجاه الفكري العلمانى لمنظمة التحرير المناقض لفكرحركة حماس الإسلامي إلا أن الحركة طرحت في وقت مبكر مسألة تطوير منظمة التحرير فذكر الميثاق ومع تقدير منظمة التحرير الفلسطينية وعدم التقليل من دورها في الصراع العربي الإسرائيلي، لا يمكننا أن نستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لتبني الفكرة العلمانية، فإسلامية فلسطين جزء من ديننا.

وبعد بروز حركة حماس كان أمامها ثلاثة خيارات بالنسبة لتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية: إما الاعتراف بتمثيلها الأوحد للشعب الفلسطيني، وإما إسقاط هذا الاعتراف والسعي إلى إبراز نفسها كبديل لمنظمة التحرير أما الخيار الثالث فهو الاعتراف بتمثيلها، وليس الأوحد، والسعي للاتفاق على إصلاح مؤسسات المنظمة ودخولها الخيار الأول، أي الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، يمكن أن تُجيّره قيادة المنظمة على تسويق الاتفاقيات التي وقعتها،أو لأية تنازلات يمكن أن تُقدم عليها،أو التعديلات التي أقرّها المجلس الوطني الفلسطيني عام 1998 التي حذفت الكفاح المسلح من ميثاق المنظمة إضافة لما يمكن أن يُعتبر تغطية للفساد الذي ينخر جسم المنظمة ومؤسساتها كما أن هذا الاعتراف سيحرج حركة حماس أمام أطر فلسطينية أخرى، كجبهة الإنقاذ التي طرحت نفسها، في وقت من الأوقات، كممثل للشعب الفلسطيني.

أما الخيار الثاني وهو عدم الاعتراف كلياً بالمنظمة وسعي حماس لتكون بديلاً عنها فدونه عقبات أولاً،إن هذا الخيار كان سيضع حماس وجهاً لوجه مع المنظمة ويفجّر صراعات ربما تتجاوز إطارها الفكري ثانياً، تعتقد حركة حماس أن منظمة التحرير الفلسطينية لديها بعض الإنجازات التي يمكن تطويرها،وتحظى باعتراف دولي وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1974/11/22، القرار 3236، الذي منح منظمة التحرير صفة مراقب وأصبح من حقها أن تشترك في مناقشة بنود جداول الأعمال وتبدي آراءها فيها، وتتمتع بالحقوق التي تتمتع بها الدول الأعضاء باستثناء حق التصويت والانتخاب وتقديم مشاريع القرارات فلا يمكن لحماس أن تتحمّل نسف المنجزات، وإن كان بعض أبناء المنظمة قد تجرأوا على ذلك كما أنه من الصعوبة بمكان أن تطرح حماس نفسها بديلاً للمنظمة في المحافل الدولية بعد الاعتراف الدولي بالأخيرة من هنا فإن الخيار المرجح كان بالنسبة لحماس هو السعي لتصحيح مسار منظمة التحرير الفلسطينية، والسعي لدخولها بعد الاتفاق بين فصائلها الرئيسية إلى إعادة بنائها وتفعيلها وظهر هذا الاتجاه مبكراً في البيانات والوثائق الرسمية الصادرة عن حركة حماس ففي مذكرة تعريفية صادرة عن الحركة عام 1993 جاء فيها حركة حماس ليست بديلاً لأحد، وترى أن م.ت.ف إنجاز وطني ينبغي الحفاظ عليه،ولا مانع لديها من الدخول في إطار م.ت.ف على أساس التزام

م.ت.ف بالعمل على تحرير فلسطين، وعدم الاعتراف بالعدو الصهيوني وإعطائه شرعية الوجود على أي جزء من فلسطين.

وحدثت عدة محاولات لإدخال حركة حماس إلى المجلس الوطني الفلسطيني، وبعض المؤسسات القائمة في منظمة التحرير، لكن الحركة كانت تخشى أن لا تُعطى النسبة التي تمثّلها في الشارع الفلسطيني، وتكون مجرّد ديكور لمزاعم التعدد داخل المنظمة، فلا تستطيع أن تغيّر في قرار واحد تتبناه القيادة أو الفصيل المهيمن داخل المنظمة ولما دُعيت حماس إلى الانضمام للمجلس الوطني الفلسطيني عام 1990 تلخّصت شروطها فى ضرورة وقف مسلسل التنازلات،وعدم الإقرار بالوجود الصهيوني على أي جزء من فلسطين، وتحقيق صدق التمثيل لمختلف الفصائل حسب أحجامها الحقيقية ، وممارسة الديمقراطية الحقيقية ، سواء في إبداء الرأي أو في تسلّم مسؤوليات القيادة ورأت حماس في مناسبات عديدة أن تمثيلها الشعبي يتجاوز الأربعين بالمئة، من هنا وجب تمثيلها بالنسبة نفسها في مؤسسات منظمة التحرير على الرغم من أن هناك تجربة لحركة فتح في دخول منظمة التحرير الفلسطينية من ثم قيادتها، فإن موقع وظروف حركة حماس تختلف كلياً، من حيث الحصار الذي تعانيه ومنعها من مضاعفة شرعيتها عبر التقدّم داخل المنظمة كما أن منظمة التحرير نفسها قد تغيّرت، ولم تعد الأطر الدستورية المؤهلة لحركة تغيير نفسها فالمجلس الوطني على سبيل

المثال عدد أعضائه غير معروف ويتراوح بين 400 و850 عضواً. وفقد منذ زمن دوره التشريعي والرقابي ولم يجتمع بين عامي 1993 و2007 سوى مرة واحدة لتعديل الميثاق.

عند قيام السلطة الفلسطينية عام 1994 على جزء من غزة والضفة الغربية في قطاع غزة ضعف إلى حدّ كبير دور المنظمة، فحُوّل جيش التحرير إلى قوات أمن وطني للسلطة، والدائرة السياسية إلى وزارة خارجية السلطة، وكذا معظم مؤسسات منظمة التحرير أصبحت جزءاً من السلطة وخشي كثيرون أن يكون ذلك بداية تصفية منظمة التحرير تمهيداً لتصفية قضية اللاجئين الفلسطينيين ومن هنا كان سعي حماس الدائم لإعادة بناء المنظمة وفق أسس تحفظ استمرارها وهو ما توّج باللقاء الذي جمع قادة حماس مع قيادة المنظمة في القاهرة، واتُفق على إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية وكان ذلك في مارس 2005.

الاتفاق تعرّض لضربة قوية،بتراجع قيادة المنظمة عن التزام مضمونه بعدما استطاعت حركة حماس عبر الانتخابات التشريعية الفلسطينية في 2006/1/25 تحقيق نجاح منقطع النظير، إذ انتقلت هذه الحركة مرة واحدة من المعارضة إلى السلطة ومن مكانة التنظيم الثاني إلى مكانة التنظيم الأول، وحصلت الحركة على 74 مقعداً أي 56% من مقاعد المجلس التشريعي الـ132مقعداً، في حين حصلت حركة فتح على

45 مقعداً، أي 34% هذه النتيجة أخافت القيادة في منظمة التحرير الفلسطينية، وجعلتها تخشى فقدان ما تعتبره حصنها الأخير

هجوم السلطة على حماس

بعد سيطرة حماس على غزة، كان الانتقام سريعاً من الضفة، فقد شنت أجهزة محمود عباس حملات اعتقال طالت المئات من أنصارها، وتم منع الصحف المقربة منها، ومنع أعضائها من التحدث إلى وسائل الإعلام، كما منعت الأحداث النقابية المحسوبة على الحركة، وفصل مئات الموظفين من وظائفهم للاشتباه بقربهم من الحركة أما وسائل الإعلام المقربة من حماس، فقد منعت ومنع الصحفيون المقربون منها والعاملون فيها من أداء أعمالهم، فيما تعرضت الجمعيات المحسوبة على الحركة للاقتحام والعبث وتعرضت محتوياتها للمصادرة.

ولم تكن المساجد بعيدة عن الاستهداف فقد اقتحمت عشرات المساجد، وتعرض طلاب الجامعات إلى الاعتقال ومنعوا من الأنشطة النقابية، وبالموازاة مع ملاحقات السلطة يواصل الاحتلال الإسرائيلي هو الآخر عمليات الاعتقال بشكل يومي ضد أنصار الحركة، ويزج بهم في السجون وبفضل تضحياتها ومواقفها الثابتة تقف حركة حماس كقوة أولى في مواجهة المشروع الصهيوني، ولا زالت القوة الرئيسية التي تحفظ للقضية الفلسطينية استمرارها وتمنح الشعب الفلسطيني وجميع

أبناء الأمّة العربية والإسلامية وأحرار العالم الثقة فى إمكانية التصدي للمشروع الصهيوني .

صعود حماس وفشل فتح

في الوقت الذي ربما تتقارب المصالح فيه بين حماس وإسرائيل، لا يستطيع محمود عباس،رئيس السلطة الفلسطينية، وقائد منظمة التحرير ، زيارة قطاع غزة الفلسطيني ولقد عملت واشنطن وتل أبيب على خلق حالة فوضى في المشهد الفلسطيني،عقب فوز حماس بالانتخابات التشريعية 2006 ولقد صار الاختيار محصورًا بين حماس في غزة، وفتح في القطاع، وألقت السياسة الأمريكية بثقلها، داعمة فتح، وربطت هذا الدعم بالرخاء الاقتصادي، ووفرت لسلطة محمود عباس شرعية دولية لدفع المعتدلين للابتعاد عن حماس وخطها، وتحريك عملية السلام غير أن هذا الدعم الاقتصادي والأمني لم يلق النجاح المرغوب لدى الشارع الفلسطيني.

يقول إليوت إبرامز، مهندس سياسة إدارة بوش في الوطن العربى، إن واشنطن تغاضت عن حجم الفساد والانتهاكات التي مارستها حكومة عباس التي حاولت بناء نجاح اقتصادي على غير أسس أما حماس، فقد ظلت الأقل فسادًا، ربما لأنها الأحدث عهدًا بالسلطة واقترن الفشل

الاقتصادي بإخفاق سياسي للسلطة المدعومة أمريكياً فقد عبّر سلام فياض نفسه عن هذا الإخفاق بالقول إن قصتنا هي قصة القيادة الفاشلة وبشكل عام،يرى بايمان أن فتح وما تمثله من إرث أيديولوجي، اليسارية، والقومية، والعلمانية، قد فقدت وجودها لصالح صعود تيار الإسلام السياسي الذي تعبر عنه حماس.

تكمن العثرة الأمريكية الكبرى في فشل مسار المفاوضات ولقد نجحت جهود جون كيري، وزير الخارجية، في اطلاق مباحثات السلام يوليو الماضي.غير أنه من الصعب الوصول إلى صفقة، والأصعب التوصل إلى اتفاق فحكومة نتنياهو اليمينية غير آبهة بهذا، وتضع عقبات أمام جهود إدارة أوباما ويرى بايمان أن أسوأ ما في منطق إسرائيل التفاوضي هو تركيزه على تنازلات الخطاب فكل ما يسعى إليه نتنياهو الآن هو نيل اعتراف من السلطة الفلسطينية بيهودية إسرائيل، وكثيراً ما يردد وزير خارجية إسرائيل، أفيجدور ليبرمان، أن الفلسطينيين لن يستحقوا دولة، إلا إذا وصل نصيب الفرد من الناتج الإجمالي إلى 10 آلاف دولار، وعرفوا فولتير وروسو في مدارسهم، وهو منطق عبثي كما يراه مارتن إنديك، المفاوض الأمريكي في مسار التفاوض الحالي وبعيداً عن الخطاب الإسرائيلي، فإن بايمان يرى أن المفتاح الرئيسي في المفاوضات هو الأمن،وهنا يسجل إخفاقاً آخر للإدارة الأمريكية فرعايتها للأجهزة الأمنية

الفلسطينية لم تسفر عن رفع كفاءتها وتعزيز أمن إسرائيل، بل أصبح من الواضح أن هذه القوات الشرطية رهينة العملية السياسية وفشل المفاوضات يدفعها أكثر نحو انتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني وقد اختار جزء كبير منها أثناء الانتفاضة الثانية الاشتراك في الاشتباك مع القوات الإسرائيلية مع بقية الفصائل، بعد أن تعاونت لسنوات مع إسرائيل في قمع حماس والمقاومة،هذا التعاون الذي يشار إليه في الشارع الفلسطيني على أنه تواطؤ مع العدو ويستخلص بايمان من مجمل هذا الاستعراض أن جهود عباس في محاولة الحصول على دولة فلسطينية من خلال المفاوضات قد باءت بالفشل الذي يجعل حماس بديلاً بلا منافس أمام الشارع الفلسطيني.

لقد استغلت حماس فشل المجتمع الدولي وإسرائيل في دعم المعتدلين الفلسطينيين،فأثبتت أنها الأكثر تعبيرًا عن الصوت الفلسطيني فحصلت على مكاسب من خلال العنف، وهو ما لم يحصل عليه عباس من خلال المفاوضات، وهذا ما أصبح الفلسطينيون يعتقدونه، كما أوضح استطلاع للرأي أجري عقب عدوان 2012؛ وفيه رأى 60% من المستطلعة آراؤهم أن طريقة حماس أجدى في إنهاء الاحتلال، فيما لم يحصل مسار عباس على 28% من الأصوات والأهم من هذا، يرى الكاتب أن حماس رغم الحصار استطاعت أن تبني دولة في القطاع، وأن تحول جزءاً كبيراً

من ميليشياتها إلى قوات أمن نظامية، وهي أمور تمثل عناصر نجاح للشعب الذي يبحث عن دولته.

يقول بايمان إنه في ظل فشل فتح ومحمود عباس، فعلى واشنطن أن تعرف أن حماس قد وجدت لتبقى، وأنه لا سبيل إلا التعامل معها، رغم رجعيتها وقمعيتها، ولن يزيد هذا من فشل التيار المعتدل شيئًا وقد يكون تخوف تل أبيب من قدرة حماس على الاستيلاء على القطاع مستقبلاً أمرًا قابلاً للتحقق، غير أن سياساتها في القطاع تساعد على تحقيق هذا، ولن يفضي مزيد من الدعم الأمريكي لفساد السلطة في رام الله إلا إلى الإسراع بحدوث هذا ومن ثم،يصبح البديل أمام واشنطن هو إثناء حماس ودفعها بعيدًا عن العنف الذي تمارسه وترفع شعاراته،وفقًا لمبادئ الرباعية الدولية،وهي الاعتراف بإسرائيل، والالتزام بالاتفاقيات السابقة، ونبذ العنف يؤكد بايمان أن نبذ العنف يجب أن يكون أولوية استراتيجية في تعامل واشنطن مع حماس،ويجب ألا تقدم على الاعتراف بها، ما لم تتخل عن العنف كلياً وتستلزم هذه الاستراتيجة دفع حلفاء واشنطن في المنطقة، خاصة قطر وتركيا، بما تمتلكانه من علاقة قوية بحماس، نحو هذا الاتجاه،ودفعها بعيداً عن طهران، وخلق شرعية قبول لها في العالمين العربي والإسلامي.

يجب أن يكون لمصر دورٌ محوري في هذا الصدد، غير أن التغيير الذي جلبته أحداث يونيو ويوليو الماضييْن جعلت هذا الدور أكثر غموضًا. فحتى تحت حكم الإخوان، حلفاء حماس الأيديولوجيين والتنظيميين، لم تدعم القاهرة عنف حماس، واستمرت في تعاونها مع تل أبيب، وضيقت على حركة الأنفاق بين سيناء وغزة، وأغرقت بعضها ويبدو أن مصر ستستمر تحت قيادة النظام الجديد بعد 30 يونيو في التركيز على ترتيب البيت داخلياً، ولكن تستطيع واشنطن الاستفادة من التغيير الحادث في مصر بالضغط على الحكومة المصرية لتدفع حماس نحو الابتعاد عن العنف وتستطيع واشنطن أيضًا أن تقايض حماس على صعودها الدبلوماسي ، بجعلها تدفع ثمن قبولها في المجتمع الدولي بتخليها عن العنف، ونموذج المقاومة الذي تمثله، وعلى إسرائيل أن تقابل هذا بتعزيز قدرة حماس على حكم القطاع، في الوقت الذي تعزز فيه قدرتها على ردع صواريخها.ويختتم بايمان مقالته قائلاً: إن محاولة واشنطن تغيير سياسة حماس تزداد أهميتها في ظل فشل الرهان على المعتدلين، وكون حماس لا تزال قوة قادرة على إيقاف عملية السلام وربما إذا استطاعت إنجاز اتفاقية سلمية مرضية، فإنها تستطيع أن تسحب البساط من تحت أقدام حماس، وألا تجعل منها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني